مجلة الآداب واللغات المجلد(08)العدد(02)جوان/جويلية2022،ص. ص37-56

دلالة الجوانب التحويلية في المستوى التركيبي للنصل القرآني

The significance of transformational grammar in the grammatical level of Quranic text

سليم مزهود **1***

1 المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة- *salimsimez@gmail.com*

تاريخ الإرسال:2021/01/05 تاريخ القبول:2022/01/08 تاريخ النشر:2022/07/10

الملخص:

إن السياق القرآني كله نظم رائع، تخضع آياته كلها إلى نسقٍ دلالي وتناغمي مثالي، وتظهر هذه المثالية في تناسب الألفاظ وحسن تجاورها، وتناسقها فيما بينها، وحسن مواضع الكلمات.

يهدف المقال إلى الكشف عن أهم الجوانب التحويلية في النص القرآني المتمثلة في الحذف بأنواعه، والتمدد والتوسع، والزيادة أو الإقحام بإعادة ذكر المؤكد بلفظه، من خلال التوكيد باللفظ نفسه أو بالحروف الزائدة والتقديم والتأخير بين الكلمات، بما يكسبها في تركيبها اللغوي نغمة موسيقية تختلف عذوبتها وقوتها وحسنها وقبحها بحسب السياق والنظمِ الذي وردت فيه.

الكلمات المفتاحية:

قواعد تحويلية- نص قرآني - سياق - مستوى تركيبي - نحو .

Résumé

Le contexte coranique est un système merveilleux non dépourvu de phrase singulière de cette mélodie, et cet idéal s'accorde avec des mots voisins, et la cohérence entre ces mots.

L'article vise à révéler l'importance de la grammaire transformationnelle au niveau grammatical du texte coranique, comme la suppression de lettres de mot ou de phrase, ainsi que l'expansion d'un mot singulier à une phrase, et augmenter ou certainement un même mot, par l'assertion verbale ou des retards entre les mots, ce qui fait un rythme dans le texte.

*المرسل المؤلف

Mots-clés :
Grammaire transformationnelle - Texte coranique - contexte - niveau syntaxique - grammaire.

Abstract
The Quranic context is a system wonderful not devoid of singular phrase of this melody, and this ideal fit with a neighboring words , and consistency among that words.
The article aims to reveal The significance of transformational grammar in the grammatical level of Quranic text, like as the deletion Letters of word, or phrase , as well as the expansion from a singular word to a sentence,and increase or certainly a same word, through the assertion verbally or delays among words, which makes a rythme in the text.

Keywords: (05)
Transformational grammar - Quranic text - context - syntactic level - grammar.

المقدمة:

تعد الجملة الوحدة الرئيسة للمعنى التي تعبر عن فكرة تامة(1)، إذ تحتوي الجملة على مكونين هما: البنى الخارجية أو الشكلية ويدرسها علم الفونولوجيا. والبنى الداخلية أو الضمنية ويدرسها علم الدلالة.

وانطلاقا من هذين البنيتين، تناول تشومسكي اللغة من خلال النحو التوليدي الذي يصلح للتطبيق على الجمل في اللغات كلها، وهو ما يسمى بالنحو الكلي الذي يعد رابطاً بين التوليد والتحويل في المراحل الأولى من الدراسات التوليدية والتحويلية(2)، ويعد هاريس رائد علم اللغة التحويلي، أما تشومسكي فهو رائد علم اللغة التوليدي؛ إذ أدخل كثيراً من التعديلات على علم اللغة التحويلي عند هاريس(3)

يهدف المقال اعتمادا على المنهج الوصفي، إلى الكشف عن أهم الجوانب التحويلية في المستوى التركيبي للنص القرآني.

1- مفهوم جمل التحويل:

التحويل هو عملية نحوية تغير ترتيب المكونات في داخل جملة ما، بالحذف والإضافة أو التقديم والتأخير أو الاستبدال(4).

إن القول باسمية الجملة وفعليتها هو تركيب بنائي، أما القول بالتوليد والتحويل، فيعني أنّ ارتباطه يكون بالمعنى الأصلي للقريب، أي التوليدي، وبالمعنى البعيد أي التحويلي(5)

إن الجملة التحويلية تتم بعناصر التحويل، بالترتيب والزيادة والحذف والحركة الإعرابية والتنغيم(6)

ومن أمثلة الجملة الفعلية التحويلية، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (نوح.الآية:15)، إذ دخل حرف الاستفهام وحرف الجزم، على الجملة الفعلية (تروا)، ودخل اسم الاستفهام (كيف) على الجملة الفعلية (خلق)، –وهذا التحويل– هو من أجل إثارة الانتباه إلى خلق الله تعالى، والدعوة إلى التأمل فيه.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُم﴾ (البقرة.الآية:50)، إذْ تبيّن الآية نعمة من النعم التي منحها الله تعالى لبني إسرائيل؛ وهي إغراق فرعون وجنوده؛ حيث بدأت الآية بجملة فعلية تحويلية في قوله سبحانه: (وإذ فرقنا) .

إذ سبق الفعل (فرقنا) ظرف للزمان الماضي، ودخول (إذ) الظرفية للزمان الماضي على الجملة الفعلية يقتضي وجود فعل يسبق الظرف وهو (اذكروا) المحذوف، وهذا دعوة إلى تذكر النّعَم التي أنعم الله بها على الناس، ومن الناسِ بنو إسرائيل.

2– الحذف:

1.2 ماهية الحذف: الحذف هو فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعنى، ترى به التَّركَ أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، على أن تبقى في الكلام قرينة تدل على المحذوف، حتى لا يصير البيان غامضا(7).

يقول عبد القاهر الجرجاني في الحذف: (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن)(8)

والحذف أسلوب بلاغي قديم يلجأ إليه الشاعر، من أجل توضيح بعض الدلالات الإيحائية التي يرمي إليها، وقد يكون السياق هو من يدفع المتكلم إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة، وهو من يدخل في بناء الجملة، ويعد" أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة؛ أي يحذف أحد العناصر المكونة بهذا المكونة البناء وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى[9].

2.2-أقسام الحذف : ينقسم الحذف إلى الأقسام الآتية :

1.2.2 حذف حرف: نحو قوله تعالى: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ (يوسف85)، حيث حذف حرف النفي (لا)، ولا يحذف النافي الذي معها قياسا إلا في القسم، وقد يحذف شذوذا دون القسم[10]، ومن ذلك قولنا: (لا تكاد تذكر)، فتصير بعد الحذف: (تكاد تذكر)، وتبقى الدلالة – في الجملتين- على النفي.

ففي الآية السابقة حذف حرف النفي (لا) قبل (تفتأ)، فالبنية العميقة للجملة هي (لا تفتأ أنت)، وبعد الحذف تنتقل إلى البنية السطحية (تفتأ)؛ وهو حذف اختياري.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وما كان الله لْيُعَذِّبَهم وأنت فيهم﴾ (الأنفال.الآية:33)، حيث أضمرت (أنْ) وجوبا لوقعوها بعد لام الجحود، التي يسبقها النفي المقترن بالناسخ (كان)، وقبل الحذف تكون الجملة في قولنا: (وما كان الله لأنْ يعذبَ الكافرين)، فحذفت (أنْ) حذفا إجباريا، وحذف المفعول به اختياريا، والتعويض عنه بأنْ تحوّل إلى ضمير متصل يدل عليه (ليعذبهم).

2.2.2 حذف اسم: نحو حذف المسند (الخبر)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا فَلِنَفْسِه ومَن أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾ (الجاثية.الآية:15)، حيث حذف المسند إليه (الإنسان)، وأصل الكلام قولنا: (إذا عمل الإنسان عملا صالحا فعمله لنفسه)، حيث تحولت الجملة بعد الحذف الاختياري للفاعل (الإنسان)، والمفعول به (عملا). [11]

و(عملا) في جملة: (عمل عملا صالحا): مفعول به، وليست مفعولا مطلقا؛ لأنها تدل على تنكير العمل، حتى يدل على أيّ عمل مهما كان نوعه، فالمهم أن يكون صالحا، والأصل: من عَمل وَاحِدًا من الأعمال الصالحة، أو عمل أيّ عمل من بين الأعمال الصالحة. ولو كان مفعولا مطلقا، لدلّ على قوة فعل العمل في عمل محدد.

3.2.2 حذف الفعل: نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (الانشقاق.الآية:1-3)، والأصل في تقديرنا: (إذا انشقت السماء انشقت. وأذنب لرب السماء وحقت. وإذا مدت الأرض مدت)، حيث حذف الفعل (انشقت) وجوبا، وبقي الاسم الذي بعده مرفوعا بفعل محذوف وجوبا يفسره الفعل الذي بعده، وحذف وجوبا لوقوعه بعد إذا الشرطية لما يستقبل من الزمان[12]

ومن أمثلة حذف الفعل؛ قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (الزمر.الآية:25)، والأصل في تقديرنا: (ليقولن خلق الله)، إذ حذف الفعل (خلقهن) جوازا لدلالة السياق عليه[13]
وقد ذكر الفعل المحذوف في قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (الزخرف.الآية:9)

4.2.2 حذف متعلق الفعل: نحو قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ (الأنبياء.الآية:23) وتقدير الكلام: (وهم يسألون عما يفعلون)، فحذف متعلق الفعل إيجازا.

5.2.2 حذف المفعول به: نحو قوله تعالى مخاطبا النبي نوحا عليه السلام في ابنه: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عَمَل غير صالح﴾ (هود.الآية:46)، وتقدير الكلام: (إن الابن كنعان ليس من أهلك. إن كنعانَ عمل عملا غير صالح)، فحذف المفعول به (عملا).

وقرأ الكسائي: (عَمل) على صيغة الفعل الماضي: (إنه عَمِل غيرَ صالح) والمعنى: إنّ ابنك عمل عملا غير صالح؛ يعني أشرك وكذب، وكلمة (غيرَ) نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف، وقرأها الباقون: (عَمَلٌ) بالرفع والتنوين، والتقدير في وصفه بكونه عملا غير صالح وُجوهٌ أهمها: أن الرجل إذا كثر عمله وإحسانه، يقال له: إنه علم وكرم وجود، فكذا ها هنا لمّا كثر إقدام ابن نوح على الأعمال الباطلة، حكم عليه بأنه في نفسه عملٌ باطل، ووجه آخر أنْ يكون المراد بأنه ذو عمل باطل، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه [14]

6.2.2 حذف الفاعل وتعويضه: نحو قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسانُ من عجل﴾(الأنبياء.الآية:37)، حيث حذف الفاعل: لفظ الجلالة (الله)، جوازا، وعوض عنه بالمفعول به: (الإنسان) الذي صار في الجملة نائبا للفاعل، والتقدير: (خَلَقَ اللهُ الإنسانَ من عجل).

7.2.2 حذف جملة: نحو قوله تعالى:﴿والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا. يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة﴾ (النازعات.الآية:1–7)، حيث حذفت جملة جواب القسم: (لتبعثن)، وتقدير الكلام: (والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا. لتبعثن ثم لتنبؤنّ بأعمالكم يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة).

8.2.2 حذف جمل كثيرة: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون. يوسف أيها الصديق أفتنا﴾ (يوسف.الآية:45–46)، وتقدير الكلام: (أنا أنبئكم بتأويل الرؤيا فأرسلون إلى يوسف. فأرسَلوه إلى يوسفَ، فذهب الرسول إلى يوسف، فقال له: يا يوسف يا أيها الصديق أفتنا).

3 التمدد أو التوسع :

التمدد أو التوسع هو أن يأتي المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو الحال وغير ذلك جملةً أو مصدرا مؤولا أو شبهَ جملةٍ.

ومن أمثلة تمدّد المبتدأ، في قوله تعالى: ﴿أنْ تصوموا خير لكم﴾ (البقرة.الآية:184)؛ فالجملة: (أن تصوموا) مصدر مؤول في محلّ رفع مبتدأ وهو البنية السطحية، والمعنى هو: صيامُكم خير لكم، وهو البنية العميقة للجملة، إذ تمدّد المبتدأ (صيامكم) إلى المصدر المؤول (أن تصوموا).

ومن أمثلة تمدد الفاعل؛ قوله تعالى: ﴿أوَلَمْ يكفهم أنا أنزلنا﴾ (العنكبوت.الآية:51)، والتقدير في بنية عميقة هو: (إنزالنا) بدلا من: (أنا أنزلنا)، وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد الفاعل (إنزالنا) إلى جملة (أنا أنزلنا)، ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ (الجن.الآية:1)

والتقدير في بنية عميقة: (قل أوحي إليّ استماعُ نفر من الجن)، وبتطبيق قانون التمدد والتوسع تمدد نائب الفاعل: (استماع) إلى جملة: (أنه استمع) وهي البنية السطحية للجملة.

ومن أمثلة تمدّد المفعول به إلى شبه جملة، قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة.الآية:105)، والتقدير في بنية عميقة هو: (خيرا) بدلا من: (من خير) وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد المفعول به (خيرا) إلى شبه جملة من جار ومجرور (من خير).

ومن أمثلة تمدّد خبر (إنَّ) إلى شبه جملة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ (فصلت.الآية:43)، والتقدير في بنية عميقة هو: (إنّ ربك لغفور)، بدلا من: (إنّ ربك لذو مغفرة)، وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد خبر إنّ: (لغفور)، إلى جملة مكونة من الاسم المضاف (ذو)؛ الذي هو من الأسماء الخمسة، ويعرب في سياق الآية خبرا مرفوعا وعلامة رفعه الواو، والمضاف إليه (مغفرة)، وقد وردت البنية العميقة:(غفور) في سياقات أخرى نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف.الآية:153)

4 الزيادة أو الإقحام:

هي أن يعاد ذكر المؤكد بلفظه، سواء أكان فعلا أم اسما أم حرفا أم اسم فعل أم جملة، أم مصدرا، أم ضميرا وغير ذلك، أو يكون عن طريق التوكيد بالحروف الزائدة، التي تفيد تقوية المعنى المراد توكيده[15]

وعلامة زيادة الحروف: أن تحذف، فلا يحدث تأثير في المعنى، من الناحية اللغوية[16]، وإنّما يؤتى بها لتقوية المعنى وتأكيده، وغرض الإعادة هو التأكيد.

ويكون التوكيد اللفظي في الاسم النكرة بالإجماع، نحو التوكيدات بالتكرار، الواردة في السياقات القرآنية المختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿قواريراً قواريرَ﴾ (الإنسان.15-16)، وجعل ابن مالك وابن عصفور منها: ﴿دكّا دكا﴾ (الفجر.21) و﴿صفّا صفّا﴾ (الفجر.الآية:22)؛ وهو قول مردود بحسب رأي الزركشي؛ لأنه جاء في التفسير أنّ معنى: (دكا دكا) هو دك بعد دك، وأن الدكّ كرر عليها حتى صار هباء منثورا، وأن معنى: (صفا صفا)؛ أن ملائكة كل سماء ينزلون فيصطفون صفا بعد صف، محدقين بالإنس والجن، وعلى هذا فليس الثاني منهما تكرارا للأول؛ بل المراد به التكثير ؛ نحو: جاء القوم رجلا رجلا، وعلّمته الحساب بابا بابا [17]

وأما محمد الطاهر بن عاشور فَفَسّر قوله تعالى: ﴿كَلا إذا دُكَّتِ الأرضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (سورة الفجر.الآية21)، بأنّ: (دكا) الثانية هي تأكيد لـ(دكا) الأولى، وفي هذا يقول: (ولعلّ تأكيده هنا؛ لأن هذه الآية أول آية ذكر فيها دك الجبال، ولمّا كان أمرا خارقا للعادة، كان المقام مقتضيا تحقيق وقوعه حقيقة دون مجاز ولا مبالغة، فأكّد مرتين هنا،ولم يؤكد نظيره في قوله: فدكتا دكة واحدة في سورة الحاقة؛ فـ(دكا) أول مقصود به هو رفع احتمال المجاز عن (دكتا) الدك؛ أي: هو دك حقيقي، و(دكا) الثاني منصوبا على التوكيد اللفظي لـ (دكا) الأول، لزيادة تحقيق إرادة مدلول الدك الحقيقي؛ لأن دك الأرض العظيمة أمر عجيب، فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي وعلى هذا درج الرضي، قال: ويُستثنى من منع تأكيد النكرات –أي

تأكيدا لفظيا– شيءٌ واحد، وهو جواز تأكيدها إذا كانت النكرة حكما لا محكوما عليه، كقوله صلى الله عليه وسلم: فنكاحها باطل باطل باطل، ومثله قوله تعالى: (دكت الأرض دكا دكا)، مثل: ضرب ضرب زيد)[18]

ومن الزيادة والإقحام، تكرار اسم الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات لِمَا تُوعَدون﴾ (المؤمنون.الآية:36)، حيث تكرر اسم الفعل: (هيهات) مرتين والغرض من الزيادة هنا هو التوكيد.

ويكون تكرار اللفظ بمرادفه نحو قوله تعالى: ﴿ضيقا حرجا﴾ (الأنعام.الآية:125) بكسر الراء، وقوله تعالى: ﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ (الحديد.الآية:13) فـ(وراء) هنا ليس ظرفا؛ لأن اللفظ (ارجعوا) ينبئ عنه، بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا فكأنه قال: ارجعوا، ارجعوا[19]

ومثال تكرار اللفظ بالفعل قوله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم﴾ (الطارق.الآية:17) .

وأما تكرار اللفظ بالحرف، فنحو قوله تعالى:﴿ففي الجنة خالدين فيها﴾ (هود.الآية:108)، وقوله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾ (المؤمنون.الآية:35).

ومن الزيادة، تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، نحو قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أنتَ وزوجك الجنّةَ﴾ (البقرة.الآية:35)، وقوله سبحانه: ﴿فاذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا﴾ (المائدة:124) وقوله عز وجل: ﴿وإمّا أنْ نكونَ نحن المُلْقِين﴾ (الأعراف.الآية:115).

ومن تأكيد المنفصل بمثله، قوله تعالى: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (يوسف.الآية:37) .

ومن الزيادة، تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وكلم موسى تكليما﴾ (النساء.الآية:164) فالمفعول المطلق (تكليما) هو لتوكيد رفع المجاز في الفعل، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ويسلموا تسليما﴾ (الأحزاب.الآية:65)، وقوله سبحانه:

﴿تَمُورُ السماء مورا. وتسير الجبال سيرا﴾ (الطور.الآية:9–10)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿جزاؤكم جزاء موفورا﴾ (الإسراء:63)

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد، نحو قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب.الآية:4) وقوله: ﴿وسرّحوهنّ سراحا جميلا﴾ (الأحزاب.الآية:49) وقد يضاف وصفه إليه نحو قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ (آل عمران.الآية:102).

وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو نيابة عن المصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وتبتّلْ إليه تبتيلا﴾ (المزمل.الآية:8) والمصدر تبتلا، والتبتيل مصدر (بتل)، وكذلك قوله تعالى: ﴿أنبتكم من الأرض نباتا﴾ (نوح:17)؛ أي إنباتا؛ إذ إنّ النّبات اسم عين[20].

أما قوله تعالى:﴿وتظنون بالله الظنونَ﴾ (الأحزاب.الآية:10) فليس من هذا التوكيد لأن الظنون جمع (ظن)، والظنون أنواع مختلفة، وأما قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾ (الأنعام.الآية:80)، فيحتمل أن يكون (شيئا) للتوكيد أو تكون بمعنى الأمر والشأن [21]

ونرى أن (شيئا) في قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾ (الأنعام.الآية:80)، تحتمل أمرين فهي: إما مفعول به، وإما مفعول مطلق، وتكون مفعولا به إذا كان القصد أن المشيئة تقع على شيء من الأشياء، ولكن الله تعالى لم يحدده، إنما أراد أيّ شيء مهما كان نوعه فهو الذي يفعل أي شيء يريده، ويشاء أيَّ شيء يشاؤه، وأما إن كانت مفعولا مطلقا، ففي هذه الحال يكون اللفظ (شيئا) إطلاقا للفعل (يشاء)، للدلالة على قوة الفعل وتأكيده.

ومن الزيادةِ الحالُ المؤكدة نحو قوله تعالى: ﴿ويوم أُبْعَثُ حَيّا﴾ (مريم.الآية:33)، وقوله سبحانه: ﴿ولا تَعْثُوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة.الآية:60)، وقوله عز وجل: ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ (النساء.الآية:79)، وقوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ (ق.الآية:31)،لأن الحال (حيا) هي تأكيد للفعل (أبعث)، و(مفسدين) تأكيد للفعل (تعثوا) و(رسولا) تأكيد للفعل (أرسلناك) و(غير بعيد) تأكيد للفعل (أزلفت)[22]

ولا يُعدّ من الحال المؤكدة قول الله تعالى: ﴿وَلَّى مُدبِرا﴾ (النمل.الآية:10)؛ لأن التولية قد لا تكون إدبارا، بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ (البقرة: 144)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكا﴾ (النمل.الآية:19)، و﴿وهو الحق مصدقا﴾ (البقرة.الآية:91).

ففي السياقين كليهما لا تُعدّ (ضاحكا) و(مصدقا) من الحال المؤكدة، لأنّ التبسم قد لا يكون ضحكا، والحق مختلف في معناه عن التصديق لما قبله، إذ كونه حقّا في نفسه غير كونه مصدقا لما قبله [23].

ومن الزيادة التأكيد بتكرار الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا. إنّ مع العسر يسرا﴾ (الشرح.الآية:5-6) وقوله تعالى: ﴿وما أدراكَ ما يومُ الدينِ. ثم ما أدراكَ ما يوم الدين﴾ (الانفطار.17-18)، وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر.3-4)

5. التقديم والتأخير:

إن لأسلوب التقديم والتأخير سمةً أسلوبيةً عظيمةَ الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة[24]، إذْ إنَّ الجملةَ تتعرض بصفة عامة إلى تغيير في ترتيب عناصرها، ويصحب هذا التغييرَ تغيّرٌ في الأغراض التي تعبر عنها اللغة، وهذا التقديم والتأخير إنما هو لتحقيق بعض المعاني المقصودة والتي هي عبارة عن طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تأكيدا وقوة.

ولأن للتقديمِ والتأخير أهميةً كبيرة، فقد اهتمَّ به اللغويون والنحويون علاوة على البلاغيين، فسيبويه مثلا يرى أنّ التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي، فتقديم ما الأصل فيه التأخير إنما يكون للعناية به، والاهتمام بشأنه[25]، أما عبد القاهر الجرجاني فقد خصَّصَ له بابا في دلائله، وبخاصة في الشعر، فتراه يقول: ولا تزال ترى شعرا يروقك سمعُه، ويلطف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد السبب أنْ راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحوّل لفظ من مكان إلى مكان[26]

والتقديم والتأخير يجئ للعناية والاهتمام، كما أنه يؤدي وظائف جمالية وبلاغية ولأنه لا يمكن النطق بالكلام دفعة واحدة، فإنه يتطلب تقديم بعضه وتأخير البعض

الآخر بما أنه ليس هناك شيء من إجراء الكلام أحقّ وأولى بالتقديم من الآخر باستثناء ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام.

وأول ما نلاحظه في التقديم في السياق القرآني هو تقديم الفاعل عن الفعل، وقد اختلف البصريون والكوفيون في مسألة تقديم الفاعل عن الفعل؛ فالبصريون يمنعون ذلك ويقدرون فعلا، بينما يرى الكوفيون أنّ الفاعل المقدم يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل آخر.

ويقدم الفاعل على الفعل لاعتبارات عدة لغوية وبلاغية، وهذا التقديم لا يخرج الكلام عن طبيعته؛ لأن الجملة التي يتقدم فيها الفاعل (الاسم) تبقى فعلية، ولا فرقَ بين جملة تقدَّمَ فيها الفعل، وأخرى تقدّم فيها الفاعل، إلا من حيث المستوى التعبيري لكل منهما[27]

ومن العناية والاهتمام أيضا ظاهرة أخرى هي تقديم المجاور المجرور، وهو يمثل ظاهرة تركيبية شائعة في العربية .

ومن المعلوم أن النظام الرئيس للجملة الاسمية، هو المبتدأ ثم يليه الخبر، أما في الجملة الفعلية، فيكون الفعل أولا، ثم الفاعل ثانيا، ثم المفعول به ثالثا إذا كان الفعل متعديا، ثم تأتي الفضلة بعده، إلا أنّ هذا الترتيب قد يتغير، وفق أحوال المتكلم والسياق، فيتم مثلا تقديم الخبر عن المبتدأ، والمفعول به عن الفاعل، ومن ثمَّ يتأخر المبتدأ وكذلك الفاعل.

وللتقديم والتأخير أغراض بلاغية يفرضها المعنى المراد، وضرورات تفرضها البنية السطحية للنص، ولا يكون اعتباطيا سواء أكان ذلك في الجملة الاسمية أم الفعلية.

1.5 التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

من حالات تقديم الخبر وجوبا، أنْ يشمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر[28]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم﴾ (الغاشية.الآية:25-26)، والترتيب على الأصل هو : إنّ إيابهم إلينا ثم إنّ حسابهم علينا.

ومن وجوب تقديم الخبر، أن يكون المبتدأ نكرة، والخبر شبه جملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ (البقرة.الآية:36)، وقوله سبحانه: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ (البقرة الآية:10)، ويتقدم الخبر عن المبتدأ وجوبا، إنْ كان المبتدأ محصورا[29]، نحو قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ (المائدة.الآية:99).

2.5 –التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

يتقدم المفعول به على الفعل في السياق القرآني جوازا، ووجوبا، حيث يجب تقديم المفعول على الفعل العامل، إذا كان المفعول به اسمَ شرطٍ، أو اسمَ استفهامٍ، أو ضميرا منفصلا، ويلزم اتصاله لو تأخر، أو أن يكون العامل في المفعول به واقعا في جواب (أما)[30]

ومن أمثلة تقديم المفعول به على الفعل، قوله تعالى: ﴿إياك نعبد. وإياك نستعين﴾ (الفاتحة.الآية:5–6) والتقدير هو: نعبدُ نحنُ إياكَ، ونستعينُ نحنُ إياكَ؛ أي (نبعدُ نحن اللهَ، ونستعينُ نحنُ اللهَ)× وهي البنية العميقة للجملة، وبعد الحذف وإعادة الترتيب والتعويض، تحولت إلى البنية السطحية: (إياك نبعد. وإياك نستعين)، ولو تأخر المفعول به في الآية، لوجب اتصاله؛ لأنه ضمير متصل، إذ تصير الجملة وقتها (نعبدك) [31]، وتقدم المفعول به في الآية للدلالة على تعظيم المعبود وهو الله تعالى.

ومن التقديم والتأخير أيضا قوله تعالى:﴿فأما اليتيمَ فلا تَقهرْ. وأما السائلَ فلا تَنهر﴾ (الضحى.9–10)؛ وتقدير الجملة في بنيتها العميقة هو: (لا تقهر أنتَ اليتيمَ ولا تنهر أنت السائل)، وبعد الحذف، وإعادة الترتيب، أصبحت الجملة: (فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر)، وهي البينة السطحية.

وقد تقدم المفعول به (اليتيم) و(السائل) في سياق الآية، لأنه واقع في جواب (أما) [32]

6. أثر التركيب الجملي في إحداث النغم :

إن الكلمات في تركيبها اللغوي تكتسب نغمة موسيقية، تختلف عذوبتها وقوتها وحسنها وقبحها بحسب النظم، وتأخذ طبيعة في عبارة ما تميزها عن غيرها، وقد تنبّه إلى هذا البلاغيون العرب القدماء، فتناولوا تراكيب الكلمات والجمل بالدراسة والتحليل ومن بينهم الجاحظ، حيث يقول: (فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح وكله عربي وبكلٍّ قد تكلموا)[33]، بالاعتماد على ترتيب الكلمات الحروف وتركيبها في سياق معين يخلق نغما تعبيريا موسيقيا، وأيّ تغير في النغم قد يفقد العباراتِ قيمتَهَا.

ولهذا ركز الجاحظ على ضرورة حسن صوغ الكلمات ودقة التركيب من أجل جمال النظم، لأنه يجعل المعنى جميلا، قال الجاحظ: (ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، والصوت هو وسيلة الإنسان التعبيرية في الكلام، والتصويت سمة يشترك فيها الإنسان والحيوان) [34]

وتظهر أهمية الصوت في التركيب اللغوي في ربط الجمل وحسن تناسقها وانسجامها فيما بينها في السياق، ويوضح هذا الأمرَ عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في قوله: (إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر) [35]

ويرى الجرجاني أنّ النظم هو سرّ جمال العبارة، وأنه سر الإعجاز الذي تحدّى به القرآنُ الكريمُ أهلَ الفصاحةِ والبلاغة من العرب والقُرَشِيينَ، حين طلب منهم أنْ يأتوا بسورة من مثله، قال الجرجاني عن إعجاز القرآن: (أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل مساق كل خبر، وصورة كلّ عِظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجّة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة [1]ينبو مكانها ولفظة ينكر شأنها، ويرى أن هناك أصلح من هناك أو أشبه، أو أحرى، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منه موضع طمع، حتى خرست الألسن عنْ أنْ تدّعي وتقول) [36].

1

ويقول الخطابي: (إنّ القرآن إنما صار معجزا، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنّا أصح المعاني... ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه) [37].

ومن أمثلة هذا النظم، قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود.الآية:44). قال الجرجاني في سياق هذه الآية: (وإنك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية... الفضل الناتج بينهما، وحصل من مجموعها فتأمل، هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، وأفردت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية: (ابلعي)، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء (يا) دون (أي) نحو (يا أيتها الأرض) ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف) دون أن يقال: (ابلعي الماء) ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من يقال شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها... تعلقاً باللفظ من حيث هو صوتٌ مسموع وحروف تتوالى في النطق[38].

إن السياق القرآني كله نظم رائع لا تخلو منه عبارة واحدة من هذا النغم، وهذه هي المثالية في تناسب الألفاظ وحسن تجاورها، وتناسقها فيما بينها، وحسن مواضع الكلمات، ومن الأمثلة الكثيرة جدا، قوله تعالى: ﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريبَ فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة.الآية:1-2).

إذ حللها الزمخشري (ت:538هـ)، فقال: (الذي هو أرسخ في البلاغة عرفاً أن يضرب عن هذا المحال وأن يقال إنّ قوله: (ألم) هي جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم،

حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير صرف نسق (عطف)، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض بعد أن رتبت هذا الترتيب، الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى الحذف، وفي الثانية ما في التصريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكراً والإيجاز في ذكر المتقين) (39)

ومن أمثلة حسن استعمال اللفظ في مكانه المناسب، حتى لا تكاد تجد بديلا له في ذلك الموضع، حلّل ابن الأثير (ت:63هـ) قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الأحزاب.الآية:53)، فقال: (إن لفظة (يؤذي) في سياق الآية جاءت سلسة عذبة خفيفة على السمع ترتاح لها النفس وتطمئن لها القلوب، لأنّ الصوت القرآني له تأثير في نفس السامع فلا يمله ولو تكرر مرات عدة)(40)

ومن أمثلة هذا النظم الرائع قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة.الآية:96)، قال عبد القاهر الجرجاني في سياق هذه الآية: (إذا أنت راجعت نفسك، وأذكيت حسَّك، وجدت لهذا التنكير –وأنه قال: (عَلَى حَيَاةٍ)، ولم يقل (على الحياة)– حُسْنًا وروعة ولطفَ موقعٍ لا يُقْدَرُ قَدْرُه، وتجدك تَعْدَم ذلك مع التعريف وتخرج من الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أنّ المعنى على الازدياد من الحياة، لا الحياة من أصلها... فكأنما قال: ولتجدنهم أحرصَ الناس، ولو عاشوا ما عاشوا، على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل)(41).

وقال الجرجاني عن أهمية موضع الكلمة مرتبة في السياق: (فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي لفظٌ، وإذا استحقّت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها، وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك ما لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال،ولكانت إمّا أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا) (42).

الهوامش:

[1]– **عمايرة** خليل أحمد: في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط:1، 1987م ص:28

[2]– **ياقوت** (محمود سليمان): منهج البحث اللغوي. دار المعرفة الجامعية مصر، ط:1، 2011م، ص:133

[3]– **عبد التواب** (رمضان): المدخل إلى علم اللغة ومنهج البحث اللغوي. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3 1997م، ص:188

[4]– **الأسود** (محمد خليفة): التمهيد في علم اللغة. منشورات جامعة 7 أفريل، ليبيا، ط1: 1996م، ص:69

[5]– **عمايرة** خليل أحمد: المرجع السابق. ص:155

[6]– المرجع نفسه. ص: 88

[7]– ينظر: **البهنساوي** (حسام): أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994م، ص:37

[8]– **الجرجاني** عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة بيروت، 1981م. ص:149

[9] – **حماسة** محمد: في بناء الجملة العربية دار الشروق، مصر، ط:1، 1996م. ص: 346

[10]– **بهنساوي** حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م ص:37

[11]– ابن **عقيل**: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث، القاهرة، 1980م. ص:288

[12]– المرجع نفسه. ص:11

[13]– **العربي** (الشريف): دروس في البلاغة العربية. دار الشموع والثقافة، الزاوية، ليبيا، 2002م، ص:13

[14]– **الرازي**: التفسير الكبير (تفسير القرآن). دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2004م. ص:3

[15] – **مزيان** علي: الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم. أساريا للطباعة والنشر، الزاوية،2001م، ص:132

[16] – **العربي** الشريف: المرجع السابق. ص:31

[17] – **الزركشي**: البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1990م. ص:486

[18] – ابن **عاشور** محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت. ص:336

[19] – **السيوطي** جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني القاهرة، 1967م ص: 105

[20]– المرجع نفسه. ص: 106

[21]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

[22]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

[23]– المرجع نفسه. ص:107

[24] – **المطعمي** (عبد العظيم): خصائص التعبير القرآني البلاغية. مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م. ص:79

[25] – **سيبويه**: الكتاب. تحقيق: السيرافي. المطبعة الأميرية، مصر، ط:1، 1316هـ ج:1، ص:27

[26] – **الجرجاني** عبد القاهر: دلائل الإعجاز. ص: 137

[27] – **بلخير** لخضر: التركيب اللغوي. دار الهدى، الجزائر، د.ت، ص:157

[28]– ابن **عقيل**: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص:244

[29]– المرجع نفسه. ص:226

[30]– المرجع نفسه. ص:440

[31]– المرجع نفسه. ص:440

[32]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

[33]– **الجاحظ**: البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، ط:2 1968م ج:1، ص:144

[34]– ينظر: **الجاحظ**: الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع بيروت، ط:1، 1996م.ج: 4، ص:90

[35]– **الجرجاني** عبد القاهر: دلائل الأعجاز. ص:38

[36]– المصدر نفسه. ص:84

[37]– **الخطابي**: بيان إعجاز القرآن. دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص:27

[38] – **الجرجاني** عبد القاهر. المصدر السابق. ص:46

[39]– **الزمخشري**: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م ج:1، ص:92

[40]– ابن **الأثير**: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار الرفاعي، الرياض ط:2، 1983م. ص:215

[41]– **الجرجاني** عبد القاهر: المصدر السابق. ص:42

[42]– المصدر نفسه. ص:24